الباب الثالث

أدعية لتفريج كرب الظلم بمختلف أشكاله وألوانه

الظلم ودوافعه وأخطاره على المجتمع :

إن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان يعتبر من أبشع الذنوب، فالظلم من أشد الكروب التى تقع على النفس البشرية، فيشعر المظلوم بالإحباط الذى قد يسلمه إلى اليأس والقنوط، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، وبخاصة فى الحالات التى لايجد فيها المظلوم من يتفهم قضيته، أو يستمع إلى شكواه من خلق الله، ومن أجل هذا وغيره معه فقد وردت النصوص الشرعية صريحة بتحريم الظلم، وتوعد الظالمين بالهلاك والبوار، فى عاجل أمرهم وآجله، وقد حرم الله الظلم على نفسه قبل أن يحرمه على عباده، فهو القائل فى الحديث القدسى الصحيح: **«يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»** كما شدد النكير على الظالمين، وتوعدهم بكثير من ألوان المؤاخذات، فهم بظلمهم قد استوجبوا من الله اللعنة والإضلال، والخسْران المبين، وسرعة الانتقام فى العاجل والآجل، يقول الله تعالى: ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[1] ويقول: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾[2]، ويقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[3]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: **«ينادى مناد وراء الصراط: معشر الطغاة الأشقياء، إن الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر ظالم»**، وفى الحديث القدسى: **«وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله»**.

ويقول القائل نظماً:

لاتظلـــمن إذا ما كنـت مقتـدرا فالظلـم يأتيـك عقبـاه بالنـدم

---

(١) سورة هود: ١٨

(٢) سورة يوسف: ٢٣.

(٣) سورة المائدة: ٥١.

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

والأمور التى تدفع إلى الظلم وتغرى به كثيرة، ومتعددة بتعدد مطالب الحياة، ومتنوعة بتنوع تنافسهم عليها، فقد يكون الباعث على الظلم الطمع فيما فى أيدى الغير من أسباب الرزق والخير، وقد يكون الباعث على ذلك الحسد على النعمة أيا كانت، من نحو جاه أو وجاهة بين الناس، أو الحصول على درجة عالية من العلم وذكاء الفهم، أو محاولة الاسترسال فى مطامع النفس ومطامحها، بمحاولة إلصاق التهمة بالأبرياء، أو يكون الباعث على الظلم عاملا من عوامل الوشاية والوقيعة بين الناس، ومرد هذا الخلق الحسد والحقد كذلك، أو أن يكون الظلم ناشئا عن الاعتداد بالقوة المادية والاعتزاز بها، أو أن الظلم قد يقع على كرام النفوس إذا ما حاولوا الانتصار للحق، ودفع الأباطيل عن الشرفاء، وما إلى ذلك من الأسباب الكثيرة والوفيرة.

وقد حاولت فى هذا الباب إلقاء الضوء على هذا الخلق المرذول، لما له من أخطار وأضرار على المجتمع وأفراده، من نحو إشاعة روح الاستكانة والوضوخ للأمر الواقع، وهذا روح شرير ما تمكن من أمة إلا فَتَّ فى عضدها، وأصبح وبالا على أهلها، وبخاصة وأن الله ـ تعالى ـ قد أخبر فى كتابه العزيز فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فمن رحمة الله أنه أكرم أهل طاعته ووعدهم بعظيم المنازل، كما أذل أهل معصيته، ومن تمام كرمه لأهل طاعته أنه امتحنهم ببعض الشدائد ليعظم لهم الحظ الجزيل من كرامته، ولكى ينيلهم بذلك أسنى المراتب من نعمته.

ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن الدنيا فقال: «**الدنيا دار بلاء، ومنزل بُلْغَة وعناء، قد نزعت عنها نفوس السعداء، وانتزعت بالكره من أيدى الأشقياء، فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، فهى الغاشَّةُ لمن انتصحها،**

(١) سورة المنافقون: ٨.

والمغوية لمن أطاعها، الفائز من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها، طوبى لعبد اتقى فيها، وقدم توبته، وغلب شهوته».

وليتذكر الظالمون هذا الحديث الشريف: «**ينادى يوم القيامة من بطنان العرش:ليقم من كان أجره على الله، فلا يُرَى إلا المتفضلون، والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس**».

١ـ تفريج كرب الصحابى أبى معْلق

يقول الصحابى الجليل أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ: «كان رجل من أصحاب النبى ﷺ يكنى «أبا معْلق»، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره، يضرب به فى الآفاق، وكان ناسكا ورعًا».

ولقد خرج أبو معلق ذات مرة متاجرًا، فلقيه لص مقنع ومدجج بالسلاح، وقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك، فقال أبو معلق: وما الذى تستفيده من قتلى؟! هذا هو المال فخذه، فقال له اللص فى تحد سافر، وحب للشر: أما المال فهو لى، ولا أريد إلا قتلك، فقال له أبو معلق. أما إذ أردت ذلك فذرنى أصل أربع ركعات لله، فقال اللص: صل ما بدا لك، فقد استقر فى روع هذا اللص أنه سيظفر بمطلوبه حتما، فالظروف كلها فى صالحه، فالطريق غير مسلوك، وأبو معلق لايستطيع مقاومته، وهكذا يخطئ كل الجبارين، حينما يستبد الشر بهم، فيرى الواحد منهم نفسه على كل شىء قديرًا، ولا يدور فى خلده ولو للحظة أن الله من ورائهم محيط، يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فلتصل يا أبا معلق ماشئت من صلاة.

توضا أبو معلق فأحسن الوضوء، وصلى لله أربع ركعات، لاتسل عن مدى إتقانهن، فقد غلب على ظنه أنهن آخر ركعات له فى الحياة، ولقد ألهمه الله ـ تعالى ـ دعاء دعا به فى آخر سجدة من هذه الصلاة، حيث قال: «**ياودود، يا ذا العرش المجيد، يافعال لما يريد، أسألك بعزك الذى لايرام، وملكك الذى لايضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك، أن تكفينى شر هذا اللص، يامغيث**

أغثنى، يامغيث أغثنى، يامغيث أغثنى» دعا بهذا الدعاء ثلاث مرات، وحين فرغ من صلاته فإذا هو بفارس قد أقبل وبيده حربة وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فى استخفاف، فطعنه ذلك الفارس فقتله، ثم أقبل نحو أبى معلق الذى لم ينهض بعد من جلسته، وقد أتم صلاته، فقال له: قم، قال أبو معلق: من أنت بأبى أنت وأمى؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، فلما دعوت بدعائك الأول سمعت لأبواب السماء قعقعة، ولما دعوتَ بدعائك الثانى سمعتُ لأهل السماء ضجةً، ثم لما دعوت فى المرة الثالثة قيل لى: دعاءُ مكروب، فسألتُ اللهَ أن يولينى قتل هذا اللص، فنزلتُ، وكان مارأيتَ.

وبهذا فقد فرج الله كرب هذا الأنصارى العابد الورع، الذى يتحرى الدقة ويتحرى الحلالَ فى تجارته، ولاغرو فهو من الأنصار الذين قال الله فى حقهم: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

وهذه الواقعة ترينا أن الله ينصر عبده المؤمن بالسبب الضعيف، كما أنه يرزقه من حيث لا يحتسب.

وهكذا ستظل رحلة الحياة حافلة بالمكروبين المكدودين؛ لكى ترى الدنيا من خلال هؤلاء وأولئك النماذج الوضيئة والمضيئة، من الذين تَفَجَّرُ شدائد الكروب والخطوب فى نفوسهم طاقات الأمل والرجاء فى الله، فلا تلبث تلك الكروب أن تتبدد أمام ألطاف الله وفرجه، وستظل تلك الوقائع مشاعل هداية تنير للناس دنياهم كلما ادلَهَمَّت عليهم دروب الحياة، وتوعرت مسالكها، ولكى تعرف الدنيا فى حاضرها وفى مَاضيها أن الله هو الحق المبين.

ومن الأمور التى يجب التنبيه عليها أن الدعاء الذى ألهمه الله أبا معْلق هو

---

(١) سورة الحشر: ٩.

من الأدعية النافعة والمفيدة، وشاهدنا على ذلك ما عقَّب به أنس ـ رضى الله عنه ـ على هذه الواقعة وعلى هذا الدعاء بقوله: «من توضأ وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء استُجيب له، مكروبا كان أو غير مكروب».

٢ـ تفريج كرب الجارية المتهمة بالسرقة

مما لاشك فيه أن إلصاق التهم الباطلة، وتوجيه التهم الملفقة للأبرياء الشرفاء، وافتراء الكذب عليهم لأمر يغضب له جبار الأرض والسماء؛ ذلك لأن هؤلاء الأبرياء إذا نزلت بساحاتهم مثل هذه الشدائد والكروب فلاشك فى أن يأسهم من عدل العباد سيدفعهم دفعا إلى التشبث بفرج الله القريب، الذى يعلم بواطن الأمور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

ولقد أورد الإمام البخارى فى صحيحه حديثا عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول فيه: «إن وليدة عربية (جارية) كانت سوداء لحى من العرب، فأعتقوها فكانت معهم عسيفة (أجيرة)، فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، فوضعته أو وقع منها، فمرت بها حدياة (طائر) وهو ملقًى فحسبته لحما فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، فاتهمونى به، فعذبونى، فأراد الرجال تقتيشها فقالت: يامغيث أغثنى» وفى رواية: «فلما خِفْتُ الشر منهم رفعت رأسى إلى السماء وقلت: ياربا أغثنى، والله إنى لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته (أى الوشاح) فوقع بينهم، فقلت: هذا الذى اتهمتمونى به، زعمتم وأنا منه بريئة، وهو ذا هو».

وبهذا فقد أثبت الله براءتها، واستجاب لها وفك كربتها، فما كان منها إلا أن تركت هؤلاء القوم، وأتت رسول الله ﷺ فأسلمت وأقامت بجوار مسجده المبارك، فى خباء لها، أو بيت صغير، وكانت تأتى نساء النبى ﷺ تخدمهن أو تزورهن، تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ: فكانت تأتينى تتحدث عندى، فلا تجلس مجلسا إلا قالت:

ويـوم الوشـاح مـن أعاجيـب ربنـا ... ألا إنـه مـن ظلمـة الكفـر أنجانـى

فقلت لها: ما شأنك لا تقعدين معى إلا قلت هذا؟ فأخبرتنى بما كان من أمرها.

وتقول هذه الجارية: «فما وقعت فى كربة إلا ذكرت ذلك، وهو يوم الوشاح، ورجوت الفرج فيفرج الله عنى».

وهكذا يدرك الله عباده المكروبين بفرجه القريب، فهو إليهم أقرب من حبل الوريد.

٣ـ البعير ينطق ببراءة من اتُهِمَ بسرقته

هذه واقعة ثانية اتهم فيها أعرابى بسرقة ناقة، فلما ضاقت به السبل، أنبت الله له الفرج من الضيق، وفتح عليه أبواب النجاة من أيسر طريق، وقد روى هذه الواقعة الإمام الحاكم فى مستدركه، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ دخل أعرابى جهورى الصوت، بدوى، على ناقة حمراء، فأناخها بباب المسجد، ودخل فسلم على النبى ﷺ ثم قعد، وجلس جلسة طويلة، فلما قضى نحبه قالوا: يارسول الله إن الناقة التى تحت الأعرابى سَرِقَة (أى مسروقة)، فقال لهم النبى ﷺ: «**أنتم بينة؟**» (أى شهود على ذلك)، قالوا: نعم يارسول الله، فقال النبى ﷺ: «**ياعلى: خذ حق الله من الأعرابى إن قامت عليه البينة، وإن لم تقم فرده إلىّ**».

فأُسقط فى يد الأعرابى، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فالناقة ناقته ولم يسرقها من أحد، فأطرق الأعرابى ساعة، فقال له النبى ﷺ: «**قم يا أعرابى لأمر الله، وإلا فَأَدْلِ بحجتك**» وهنا كرب الأعرابى كربا لم يكرب مثله مخلوق، وإذا بالناقة تنطق بلسان فصيح، بالحق الواضح المبين، وتقول: «**والذى بعثك بالحق والكرامة يارسول الله إن هذا ما سرقنى، وما ملكنى أحد سواه**» فعلم النبى ﷺ أن الأعرابى لما اشتد كربه دعا الله بدعاء ففرج الله عنه ما هو فيه، فقال له النبى: «**يا أعرابى: بالذى أنطقها بعذرك ما الذى قُلْتَ؟**» قال الأعرابى: قلت: «**اللهم إنك لست برب استحدثناك، ولامعك إله أعانك على**

خلقنا، ولا معك رب فنشك فى ربوبيتك، أنت ربنا كما تقول، وفوق ما يقول القائلون، أسالك أن تصلى على محمد، وأن تَرِيَنى براءتى» فعقب النبى على ذلك قائلا: **«والذى بعثنى بالكرامة يا أعرابى، لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك، فأكثر الصلاة علىَّ»**.

انظر أيها القارئ العزيز، إلى أى حد يدافع الله عن الأبرياء، وإلى أى حد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وهكذا فتح الله لهذا الأعرابى أبواب فضله بمفاتيح فرجه، إنه على ما يشاء قدير.

٤ـ تضريج كرب القاضى الصالح عمر بن حبيب

إن الانتصار للحق بإعلائه، والوقوفَ فى وجه الباطل لإزهاقه، هو أحد القيم التى ربى عليها الإسلام أتباعه، فى كل عصر، وفى كل مصر؛ حتى لا يجترئ الناس على الفساد فى الأرض باستحلال حرمات الله ـ تعالى ـ ولقد كان سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ يؤدون هذا الواجب بكفاءة واقتدار، لايخافون لومة لائم، ولايخشون إلا الله.

ولقد كان الشيخ الفاضل، والقاضى الجليل عمر بن حبيب واحدًا من هؤلاء السادة الأخيار، وكان يتولى القضاء فى عصر هارون الرشيد، ولقد حدث أحد المواقف التى شكلت له كربًا، فقال: «حضرت مجلسا من مجالس الرشيد ذات يوم، فجرت مسألة، فتنازعها الخصوم، وعلت فيها الأصوات، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة، فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون: أبو هريرة متهم فيما يرويه عن رسول الله ﷺ وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم (أى: مال إلى رأى المكذبين لأبى هريرة) ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح النقل عن رسول الله ﷺ فنظر إلىَّ الرشيد نظر مغضب، وانتهى المجلس، وانصرفت إلى منزلى، فلم ألبث وقتا طويلا حتى جاءنى غلام فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول،

وتحنط وتكفن، وهنا استشعرت خطورة الموقف وغضبة الأمير، فلم يفقد صوابه، ولم تطش نفسه، وإنما اعتصم بالله واستعان به؛ حيث رفع يديه إلى السماء ودعاه دعاء مضطر لرحمته، فقال: «**اللهم إنك تعلم أننى دفعت عن صاحب نبيك فسلمنى من هذا الأمير**».

فأدخلت على هارون وهو جالس على كرسى، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بَصُرَ بى قال: ياعمر، ماتلقانى أحد من الدفع والرد بقول بمثل ما تلقيتنى به وتجرأت علىَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الذى قُلْتَهُ ودافَعْتَ عليه، وجادلت عنه فى المجلس المذكور هو إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ماجاء به، وعلى الشريعة التى جاء بها من ربه؛ وذلك أنه إن كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض فى الأحكام والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة، فالله اللهَ يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك، أو أن تصغى إليه، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ!!

إنه ثبات على الحق، وجرأة فى الصدق؛ لايوفَّق إليه إلا الذين يرجون الله والدار الآخرة، من الذين يبذلون النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، حتى فى تلك اللحظات التى يتراءى فيها الموت للعيون، بل يكون أقرب إلى الأحداق من الجفون، بل وتكون نهاية الحياة أقرب من خطرات النفوس، فهذا العالم يذكر أمير المؤمنين هارون بمكانته من رسول الله ﷺ وصلته به، وقربه منه، ويهيب به أن يترفع عن تبنى مثل هذه الآراء الساقطة، التى يتبناها المضلون، الذين يرجون وجاهة فى مثل هذه المجالس حتى ولو كانت على حساب الحق، أو نهشا فى أعراض الصالحين.

وهنالك هبت أَنْسَامُ السرور، وفتحت أبواب الفرج على مصاريعها، فالرجوع للحق فضيلة، والرجوع للحق خير من التمادى فى الباطل، وإذا بهارون الرشيد، وقد فتح الله مغاليق عقله إلى الهدى والنور، إذا به يقول لعمر بن

حبيب: أحييتنى يا عمرُ بن حبيب أحياك الله، ثم إنه كرمه بعطاء قدره عشرون ألف دينار.

٥ـ من مواقف الكليم موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون

يمثل الصراع بين الخير والشر ـ على طول الخط ـ ألوانا من الكروب والشدائد التى يعيشها الأنبياء والمرسلون، وقد يبلغ هذا الكرب ذروته حينما يضيق الشر بالخير ذرعًا فيعلن التخلص من القائمين بدعوات الخير والإصلاح، بل والقضاء عليهم، وتاريخ الدعوة إلى الله ملئ - بل ومشحون - بالمواقف الصعبة التى تحملها أنبياء الله ورسله، ومن على قدم الصدق معهم، وتلك سنة جارية فى خلق الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا؛ ذلك لأن دعوات الحق والإصلاح ليست خالية عن القيود والتبعات، فكما يقول النبى ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»، فالمكاره هى القيود والحدود والضوابط التى تدعو الشريعة الإسلامية إلى التمسك بها، والشهوات هى التحلل من التمسك بهذه القيود، والجرى وراء متطلبات النفس البشرية فى كل ما تشتهيه، وتلك عادة صبيانية تجعل صاحبها لايتجاوز مرحلة الطفولة، وفى هذا المعنى يقول القائل:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وسيدنا موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ـ أحد المرسلين أولى العزم، الذين تحملوا من إذايات أقوامهم ما لا تتحمله الجبال الراسيات، فقد أرسله الله إلى فرعون وملئه، وقد كانوا سادرين فى غيهم، عاكفين على شهواتهم حتى الأذقان، فجاءهم بالبينات من ربهم، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ**

وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾[1] فوقفوا منه موقف اللجاجة والعناد والمكابرة، واتهموه بالجنون والسحر والشعوذة، شأنهم فى ذلك شأن كل المكابرين من أهل الأرض، حينما يفقدون الحجة والإقناع، فإنهم يلجأون إلى لغة السب والشتم، بل والعنف كذلك، وهى أمور تقع فى دائرة الاستفزاز، ولقد وصلت تلك المواجهة ذروتها، وقاربت الوصول إلى نهايتها، عندما تجهم فرعون، وقال ما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[2] فهو يطلب من قومه أن يخلوا بينه وبين قتل موسى، فهو سيقتله حتما، ولا يعمل لرب موسى حسابًا، حتى ولو دعا موسى ربه واستنصر به، ومن عجب أن يخاف فرعون على دين قومه من موسى الذى يخشى أن يبدل دينهم أو أن يظهر الفساد فى الأرض، ونحن نرى أن فرعون قد تحول واعظا يحمى حمى الدين، ويغار عليه، ويشفق على الناس من موسى ودعوته.

وفى مواجهة هذه الشدة لم يكن أمام موسى إلا أن يتجه إلى ربه داعيا ضارعًا مبتهلا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾[3] ولقد ورد أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: «**استجرت بالله، وعذت به من شر فرعون وشر أمثاله**» **وكان نبينا ﷺ إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم، وندرأ بك فى نحورهم»**.

وتمثل تفريج كرب الكليم فى أن قيَّضَ الله له رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم إيمانه ـ يقال إنه كان ابن عمه ـ فلما سمع هذا الرجل مقالة فرعون غضب غضبة لله، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وقال لفرعون ما حكاه

(١) سورة الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٣.
(٢) سورة غافر: ٢٦.
(٣) سورة غافر: ٢٧.

عنه القرآن: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1] فأخذ يذكرهم بصدق موسى، وبعظمة الله، فتغير فكر فرعون من الإصرار على قتل موسى إلى تركه، مع التضييق عليه فى أمور دعوته، وبهذا فقد نجى الله موسى ـ عليه السلام ـ من بطش فرعون صغيرًا، ومن كيده كبيرًا.

فاضرب اللهم علينا سرادقات عزك، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا بما تحفظ به عبادك الصالحين.

٦ـ تفريج كرب مؤمن آل فرعون

إذا كانت كروب الناس وشدائدهم فى هذه الحياة متعددة ومتنوعة، وذلك بحسب اهتماماتهم فى هذه الدنيا، فمنهم من يهتم لأمور تتعلق به أو بخاصة نفسه، ومنهم من يكون كربه وهمه لأمور تتعلق بغيره من الناس، فإن هؤلاء هم أنبل المكروبين، ويطالعنا القرآن الكريم بواحد من هذا الطراز، إنه مؤمن آل فرعون، الذى كان يكتم إيمانه عن قومه.

ويتمثل كرب هذا العبد الصالح فى مبالغة قومه فى اللجاجة مع موسى ـ عليه السلام ـ فما كان منه إلا أن شرع فى نصحهم وتوجيههم، حيث أخذ الأمور بمنطق العقل والاستبصار، فما قصر فى النصح، ولا توانى فى الإرشاد، فقد استخدم أسلوب البشارة تارة، وأسلوب الإنذار تارة أخرى، وإنما سوغ له القيام بهذا الدور ما كان له من علاقة قربى من فرعون، حيث كان ابن عمه، فلما رآهم يعرضون عن الحق الواضح الذى يدعوهم إليه، ما كان منه إلا أن حذرهم بأس الله الشديد فى الدنيا والآخرة قائلا لهم: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ

(١) سورة غافر: ٢٨.

التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[1] فما كان منهم إلا الإعراض كذلك، فلجأ إلى أسلوب آخر راجيا أن يقيمهم على جادة الحق، وأن يعيدهم إلى حظيرة الصواب، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[2]

أى: لا تفعلوا مع هذا النبى ما فعله أسلافكم فى هذه الديار مع يوسف ـ عليه السلام ـ فقد جاءكم بالبينات من ربه فكذبتموه كذلك، ولم تمتثلوا له إلا بمجرد الوزارة والأخذ بالجاه الدنيوى، حتى لقد طمعوا بعد موته فى عدم إرسال رسول آخر إليهم، حتى لا يؤمنوا به كذلك.

فوعظهم وذكَّرهم بأن أحوال الدنيا ما لها من ثبات، وأن القيمة الحقيقية لوجود الإنسان فيها إنما هى لأعماله الصالحة، والبعد عن الأعمال الطالحة، وأن الجنة هى دار القرار، ولكنهم مع هذا كانوا يحاولون التأثير عليه بدعوة مضادة لدعوته هذه، حتى يظل معهم غارقا فى شركهم حتى الأذقان، فأنكر عليهم مسلكهم هذا، وبيَّن لهم تناقض مواقفهم، فهم يدعونه إلى النار، وهو يدعوهم إلى النجاة منها، فلما لم يجد منهم أية استجابة، فما كان منه إلا أن توجه إلى الله رب العالمين، داعيا وضارعا بما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3]، أى أننى أكل أمركم وأمر هدايتكم إلى الله، فقد فرغت حيلتى، وأترك إليه وحده شأنكم، ولم يشأ هذا الرجل أن يدعو عليهم بشىء من العذاب أو العقاب، وإنما فوض أمر ذلك إلى الله؛ فهو الذى يعلم حجم جرمهم، وهو الذى يقدر لهم العقوبة، وفى هذا

(١) سورة غافر: ٣٢ ، ٣٣.

(٢) سورة غافر: ٣٤.

(٣) سورة غافر: ٤٤.

المعنى يقول أحد الصالحين: «إذا خيرت أن تختار، فاختر ألا تختار» وكان نبينا الكريم يقول فى دعائه: «**اللهم خِرْ لى واختر لى**».

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الرجل الصالح فى نجاته من كيد فرعون وجنده، فلم يكن من الهلكى أو الغارقين منهم فى اليم يوم أن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، ونجاه الله مع موسى ـ عليه السلام ـ هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة فهو من الفائزين بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وفى هذا المعنى يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1].

ونحن نلحظ من هذا السياق فى هذه القصة أن القرآن لم يصرح بذكر اسم هذا الرجل، وذلك لحكمة جليلة، ألا وهى أن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ منوطة بالأكفاء القادرين على تبليغها، وهى تحتاج إلى الرجولة والشجاعة فى تحمل الأعباء، ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ**﴾[2]، ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ** ﴾[3]، ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ** ﴾[4].

فاجعلنا اللهم من أهل طاعتك، واجعل شرفنا وعزنا فى كمال عبوديتنا لك.

٧ـ تفريج كرب الصحابى خباب بن الأرتّ

إن من تصاريف ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى هذا الكون أنه ينزل الفرج والرخاء على قدر الشدة والبلاء، ولقد كان من هدى نبينا ﷺ: «**إذا استبطأت الرزق**

---

(١) سورة غافر: ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٤) سورة النور: ٣٦، ٣٧.

فأكثر من الاستغفار، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر من قول: لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من: الحمد لله».

وخباب بن الأرت واحد من السابقين الأولين، الذين واجهوا جنون كفار مكة بالرغم من فقره ورقة حاله، ففى بيت «أم أنمار» إحدى نساء مكة يقيم هذا العبد الرقيق، الذى برع فى صناعة السيوف التى تدر على سيدته دخلا لابأس به، وشاءت له الأقدار أن يدخل الإسلام مع الفوج الأول من الداخلين فيه، وكان ذلك بمثابة امتحان قاس، واختبار رهيب له، فقد برهن للدنيا على أن الإيمان الحق يعيد صياغة الإنسان من جديد على نحو طيب وفاضل، وأنه يكسب النفوس البشرية طاقات لاحدود لها من الصمود والصبر على مواجهة الشدائد وتحمل المكاره، ولقد تمثلت بسالة هذا الفتى الْفَتِىِّ، فى أنه تعرض لموقف صعب، فبينما هو عائد إلى بيت مخدومته إذا به يجد لفيفا من الناقمين والساخطين عليه، فسألوه عن صلته بمحمد، فأخبرهم بأنه رسول الله، أرسله إلينا ليخرجنا من الظلمات إلى النور، فلم يكد يتم مقالته هذه حتى انهالوا عليه ضرباً مبرحا، وكانوا معه كالوحوش الكاسرة، حيث صبوا عليه جام غضبهم، أما «أم أنمار» فقد عبرت عن موقفها منه بصورة بشعة، فقد أتت بسيخ من الحديد محمى وأخذت تكوى به رأس هذا المسكين، إنها صدمات متتالية، أدخلته فى غيبوبة لم يفق منها إلا بعد ساعات طويلة، فقد أفاق من غيبوبته ليجد عظامه وجسمه كله يعانى من رضوض وآلام، فطفق يضمد جراح جسده، ويتحامل على نفسه، ويوطن نفسه لاستقبال جولات جديدة من هذه الإذايات، ومن ذلك النكال، ولقد صدق حَدْسُه فعلا، فإذا بهم يعاودون الكرةَ، ويلهبون ظهره العارى بالحجارة المحمية حتى ذهب لحمه، ولكن الغريب فى أمره أنه لم تلن له قناة، لك الله ياخباب؟!!

إننى لا أجد لك مثالا يشبهك إلا قطعة من الذهب النضار، التى يفتنها الصائغ فى بوتقته على لهيب النار، فما تزيدها شدة الحرارة إلا شفافية وصفاء، كلا، فأنت ياخَباب بصلابة موقفك، وصدق إيمانك، وبصبرك وتجلدك أنضر من

الذهب النضار، يالله؟!! ما هذه القسوة يابنى الإنسان!!! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله!!

وبينما خباب يتقلب فى هذا العذاب، وإذا برسول الله ﷺ يمر به فيجد هذا المشهد الدامى، حديد محمى فوق رأسه، يحرقه ويشويه، فطار قلب الحبيب شفقة على خباب، ورفع كفيه إلى ربه قائلا: «**اللهم انصر خبابا**»، فكانت أبواب السماء مفتحة لهذه الدعوة، وإذا بفرج الله القريب يدرك خبابا، فما كان من سيدته «أم أنمار» إلا أن زهدت فى هذا العبد العنيد، وأعتقته حتى لاتشغل نفسها به أكثر من ذلك، فإذا به يتنفس الصعداء، فقد دفع ثمن حريته غاليا، ولكنه على ثقة تامة بأن الحرية لا تشترى بمال، لقد دفع ثمن حريته غاليا بل غاليا جدًّا، لقد دفع ثمن حريته دماء تنزف من جسده، وقروحا وحروقاً، وصدمات عصبية ارتج لها جميع بدنه، وهذا هو الشق الأول من تفريج كربه، فقد امتلك حرية نفسه.

وأما الشق الثانى، فقد تمثل فى نصر الله له على سيدته الظالمة، التى عذبته بالنار وغاب عنها وعن أمثالها من الكافرين أنه لا يعذب بالنار إلا الله، فقد تمثل فيها عدل ربنا، الذى لا تضطرب موازين عدله، والذى لاتغيض ولاتجف ينابيع فضله، فإذا بها تصاب بداء عضال، وسعار عجيب جعلها تعوى عواء الكلاب، فما كان منها إلا أن استدعت الأطباء، فقرروا لها العلاج الوحيد، ألا وهو كيٌّ رأسها بالنار، سبحان الله، بالنار! نعم إنها النار التى عذبت بها خبابا الرقيق، صدقت ياربنا فيما قلت، وأبدعت فيما أحكمت ﴿**وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**﴾[1].

وهكذا فرج الله كرب وَهَمَّ خباب، ونصره على أعدائه، فخرج من هذه المحنة أشد مضاء، وأصلب عودًا، وأقوى عزيمة، وأصدق إيمانا، فقد واساه النبى ﷺ بهذا الدعاء المستجاب، وأتحفه بهذه الطرفة النبوية الكريمة، فطابت على أثرها جراحه، وحلَّقت نفسه فى رياض القرآن الكريم حفظا وتجويدًا تَعَلُّمًا

(١) سورة المؤمنون: ١٧.

وتعليما، حتى إن عبد الله بن مسعود ليقول عنه: «إن خبابا مرجع فيما يتصل بالقرآن حفظا ودراسة» ويقول عنه على ـ رضى الله عنه ـ: «**رحم الله خبابا، لقد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، ومات مجاهدًا**».

٨ـ تفريج كرب محمد بن جعفر بن محمد العلوى

إن أسلوب الوشاية بين الناس أحد أسباب إفساد المودة وتقطيع أواصر العلاقات، فهو يوغر الصدور، ويحرك الشرور، وينسى صاحبه ظلمة القبور، ومواقف الذلة يوم البعث والنشور، يوم يخرج الناس من الأجداث حفاة عراة غرلاً كيوم ولدتهم أمهاتهم، وقلما يخلو من هذا البلاء عصر من العصور، أو ينجو منه أهل دهر من الدهور، إلا من رحم الله، وأهل الحضر مع أهل البدو فى هذا الخطب سواء، ولقد شهدت فترة الحكم العباسى كثيرًا من هذه الدسائس والوقائع، فقد نشط دعاة الفتنة والوقيعة، يوغرون صدور بنى العباس على إخوانهم وذوى قرباهم العلويين.

ومن ذلك ما حدث لمحمد بن جعفر بن محمد العلوى؛ حيث وشى به الوشاة إلى الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، فما كان من الخليفة إلا أن استدعى محمد بن جعفر، فأحضره أعوانه إليه بصورة غير كريمة، وغير لائقة بآحَاد الناس فضلا عن أشرافهم، ومن لهم برسول الله ﷺ نسب وسبب قوى، وقد شكل إحضار محمد بن جعفر على هذه الهيئة وعلى هذا الحال له ضيقا شديدًا، وكربا عظيما، فلما حضر مجلس أبى جعفر وقد أخذ فيه صدر ذلك المجلس، فسلم جعفر بن محمد عليه فلم يرد عليه السلام، وابتدره بالحديث قائلا: بلغنى أنك تؤلب الناس علىَّ، إن مما نحفظه وتحفظه أنت قول النبى ﷺ: «**ينصب للغادر لواء يعرف به يوم القيامة**»، وهنا أجابه قائلا: «يا أمير المؤمنين: إن مما نحفظه وتحفظه أنت ما قاله النبى محمد ﷺ: «**ينادى يوم القيامة من بطنان العرش: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا المتفضلون،**

والكاظمون الغيظ، والعافون عن الناس» فأمر الخليفة باحتجازه إلى اليوم التالى.

فبات جعفر بن محمد ليلته ضارعًا إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ بما أثر عن النبى الكريم من دعاء تفريج الكرب، والذى يقول فيه:

«اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام، واكنفنى بركنك الذى لايرام، واحفظنى بعزك الذى لايضام، واكلأنى فى الليل والنهار، وارحمنى بقدرتك علىَّ، فأنت ثقتى ورجائى، فكم نعمة أنعمت بها علىَّ عجز عنها شكرى، وكم من بلية ابتليت بها عجز عنها صبرى، وكم من خطيئة ارتكبتُها فلم تفضحنى فيها، فيا من قل عند نعمته شكرى ولم يحرمنى، ويا من قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى، ويا من رآنى على الخطيئة فلم يعاقبنى، ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدًا، وياذا الأيادى التى لاتحصى عددًا، وياذا الوجه الذى لايبلى أبدًا، وياذا النور الذى لايطفأ سرمدًا، أسألك أن تصلى على محمد وآله، وأن تكفينى شر كل ذى شر ظاهر، بك أدرأ فى نحره، وأعوذ بك من شره، وأستعين بك عليه، اللهم أعنى على دينى بدنياى، وعلى آخرتى بالتقوى، واحفظنى فيما غبتُ عنه، ولا تكلنى إلى نفسى فيما حضرته، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفرلى ما لا يضرك، وهب لى ما لا ينقصك، اللهم إنى أسألك فرجًا قريبا، وصبرا جميلا، وأسألك العافية من كل بلية، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

فلما كان اليوم التالى، ومثل جعفر بن محمد بن يدى الخليفة، إذا به يأمر بفك وثاقه، وهو مايزال مستغرقا فى دعائه ربه بهذا الدعاء، وقام إليه الخليفة وعانقه وأجْلَسه إلى جواره، وقال له معتذراً: «يا أبا محمد: أنتم معدن النبوة، ونبع الرسالة، وإليكم ينتهى كل خلق حميد، وعنكم تؤخذ السنة والكتاب، وأنا أستغفرك هذه الإساءة، فقد قطعت عليك خلوتك، وأفسدت عليك عبادتك، وما كانت إلا وشاية ماكر كذاب، فلا تعجب من أمرى معك اليوم، فلقد رأيت جدك ـ عليه الصلاة والسلام ـ الليلة فى منامى، وهو آخذ بيد عمه العباس، فجعل

يعاتبنى فى شأنك، ويقرأ على هذه الآية ويقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1] ثم ولى عنى مغضبًا، فهل أنت غافر لى تلك الزلة يا أخى؟ فما كان من جعفر بن محمد إلا أن بكى وقال: يغفر الله لى ولك يا أمير المؤمنين.

فما كان من الخليفة إلا أن رده ردًّا جميلا، رده إلى داره معززًا مكرَّمًا، وأجازه جائزة تليق بأمثاله، وتليق بمقامه الكريم، وكيف لا، وقد قبلت دعواته، فكان رسول الله شفيعه، ولقد اصطحب معه عمه العباس جَدَّ الخليفة؛ ليبين للخليفة مدى العلاقة التى تربط العلويين بالعباسيين، التى تربط العباسيين بالطالبيين، ففضلا عن كونهم أولاد عمومة، فإن للعلويين فضلا، يتمثل فى صلتهم النسبية برسول الله ﷺ فهم بمنزلة أبنائه، وعلى أى حال فلا ينبغى أن تهدم هذه العلاقة، ولا داعى لتقطيع الأرحام، على حد ماورد فى الآية، فلا ينبغى أن تكون ولاية الأمر مدعاة لتقطيع علاقات القربى بحال من الأحوال.

وضراعتنا إليك يا ألله أن تحول حالنا إلى أحسن حال، وأن تصرف عنا حسد الحاسدين، ومكر الماكرين، وأن تفتح لأعمالنا أبواب القبول، ولخطواتنا إليك طريق الوصول، يا من لا تخالطه الظنون، ولايستطيع وصفه الواصفون، ولايبلغ مدحته المادحون.

٩- تفريج كرب الصحابى أنس بن مالك

الصحابى الجليل أنس بن مالك الأنصارى، قد شرف بخدمة النبى ﷺ وهو صغير لمدة عشر سنين، وقد دعا له النبى الكريم بالبركة وطول العمر، وقد استجاب الله لدعوة نبيه، فحلت البركة لهذا الصحابى فى أهله وماله وولده، كما متعه الله بطول العمر، فقد امتدت حياته إلى عام ٩٣ هجرية، فعاش مائة وثلاثين عاما، وهاجر إلى العراق حيث مات بالبصرة ودفن فى موضع يقال له: «قصر

(١) سورة محمد : ٢٢.

أنس» ويتضح لنا من سيرته أن النبى ﷺ قد اختصه ببعض الأدعية التى أفادته فى حياته كثيراً، وبخاصة فى المواقف الحرجة.

ولقد شاءت الأقدار لهذا الصحابى أن يقع فى كرب عظيم أثناء إقامته بالبصرة فى العراق، ذلك أن حياته الحافلة قد امتدت إلى زمن خلافة عبد الملك بن مروان من بنى أمية، وكان واليه على العراق فى هذه الفترة «الحجاج بن يوسف الثقفى»، وهو مَنْ هو ظلما وتجبراً وطغياناً، فلما علم عبد الملك بمقام أنس بالبصرة أرسل إلى الحجاج عامله على العراق رسالة يوصيه فيها خيراً بأنس، ولقد جاء فى هذه الرسالة:

«من عبد الملك بن مروان، إلى الحجاج بن يوسف: انظر إلى أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ فَأدن مجلسه (أى قربه فى مجلسك)، وأحسن جائزته، وأكرمه». فما كان من الحجاج إلا أن دعا أنسا إلى مجلسه وقال له: يا أبا حمزة: إنى أريد أن أعرض عليك خيلى، وأريد أن تخبرنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ؟.

فالحجاج بهذا يريد أن يأخذ شهادة من هذا الصحابى، الذى عاصر رسول الله ﷺ لكى يثبت للدنيا أن الخيل التى يستخدمها هى كالخيل التى كان يستخدمها رسول الله ﷺ للجهاد فى سبيل الله، فلما عرض خيله على أنس ما كان منه إلا أن قال له قولا أغضبه، فقد قال له: «شتان ما بينهما، فخيلك لاتقارن بخيل رسول الله ﷺ وذلك لأن خيل رسول الله كان كل شىء فيها خالصا لله، وكان عليه أجر، لقد كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجراً، أما خيلك فشىء آخر».

فغضب الحجاج غضبا شديداً، وكذلك الحقُّ لا يُغضب إلا الظالمين، ومع هذا فإن الحجاج لم يستطع أن يمضى غضبه، فقد قال له مبينا الأسباب التى منعته من إنزال العقوبة به: لولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين (أى عبد الملك) الذى يوصى فيه بك خيراً لضربت الذى فيه عيناك (أى:

لضربت رأسك بالسيف) إنها جرأة ما بعدها جرأة، وإعلان عما يجول فى نفسه من الشرور نحو عباد الله الذين لايوافقونه على رأيه، فلما استشعر منه أنس الغدر فما كان منه إلا أن دعا الله بدعاء اختصه به رسول الله ﷺ منذ صباه الباكر، وكانت قصة تعلم هذا الدعاء كما يقول أنس: «لَمَّا غلظت أرنبتى (أى: أرنبة أنفى) وأنكر رسول الله صوتى (أى من أمارات بلوغ مبلغ الرجال) علمنى كلمات لم يضرنى معهن عُتُوٌّ جبار ولا عُنُوتُه، مع تيسير الحوائج، ولقاء أمير المؤمنين بالمحبة، فما دعوت بها فى شدة إلا فرجها الله».

وهذا هو الدعاء الذى تعلمه أنس من رسول الله ﷺ للحفظ والمحبة وقضاء الحاجات: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، باسم الله على نفسى ودينى، باسم الله على كل شىء أعطانيه ربى، باسم الله خير الأسماء، باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، باسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، الله، الله ربى لا أشرك به أحداً، أسألك اللهم بخيرك الذى لا يعطيه غيرك، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اللهم اجعلنى فى عياذك من شر كل ذى سلطان، ومن الشيطان الرجيم، اللهم إنى أحترس بك من شر جميع كل ذى شر خلقته، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدىَّ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وأقدم من خلفى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم عن يمينى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم عن يسارى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم من فوقى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. فلم يكن إلا أن صرف الله عنه كيد الحجاج ومكره.**

انظر أيها المطالع الكريم، وتأمل كيف يحفظ الله عباده الأخيار، من كيد الأشرار، ويجعلهم يعيشون فى بحبوحة كرمه وفضله وآلائه، فهو - سبحانه وتعالى - يمنحهم من المدد ما يغنيهم عن السلاح والعدد.

فنسألك اللهم بخيرك الذى لايعطيه غيرك، أن تجعلنا دائماً وأبداً فى كنفك. وفى عياذك ولياذك، فإننا نحترس بك من شر كل ذى شر خلقته، ونحترز بك منهم ببركة القرآن الكريم، وببركة نبيك العظيم، وببركة عبادك الصالحين الأتقياء الأخفياء، الذين جعلت وجودهم عافية للدنيا كعافية الأبدان، فأنت غياث المستغيثين، وصريخ المستصرخين، وأنت على كل شىء قدير.

١٠- تفريج كرب أبى أمامة الباهلى

الصحابى الجليل «أبو أمامة الباهلى» واسمه «صَدِىّ بن عجلان»، واحد من قبيلة «باهلة»، واشتهر بكنيته، ونسبه إليها، وهو أول من دخل الإسلام من قبيلته، وقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن تكون هدايتهم على يديه، وبيان ذلك: أنه لما ذاق حلاوة الإيمان بالله - تعالى - أراد بحِسِّ المؤمن وفطرته أن يذوق قومُه وعشيرته حلاوة الإيمان بالله كذلك، فيقول: «لقد أتيت قومى وقد سقوا إبلهم وحلبوا وشربوا، فلما رأونى رحبوا بى قائلين: مرحبا بالصدى بن عجلان، بلغنا أنك صَبَوْت (أى تركت دين آبائك) إلى هذا الرجل (يقصدون محمدا ﷺ)؟ فقلت لهم: لا، ولكننى آمنت بالله ورسوله، ولقد بعثنى رسول الله ﷺ إليكم لأعرض عليكم الإسلام وشرائعه، وبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعتهم التى يتناولون فيها طعامهم، واجتمعوا حولها، وكانت قصعة ممتلئة بالدم، الذى كان من عادتهم أن يتغذوا عليه، وقالوا له: هلم ياصدى فتناول الطعام معنا، فقلت لهم: ويحكم، إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم إلا ما ذكيتم كما أنزل الله، قالوا: وماذا قال؟ قلت: نزلت هذه الآية الكريمة فى المحرمات: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ**

عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾[1] ثم جعلت أدعوهم إلى الإسلام وهم يأبون، وهنا أدركنى العطش الشديد، فقلت لهم: أعطونى شربة ماء، فإنى شديد العطش، فقالوا له: لا، لن نعطيك ماء، ولكننا سنتركك حتى تموت عطشا، فلما كرر الطلب ووجد منهم الإصرار والعناد، واشتد كربه واغتمت نفسه، فأسلم لله أمره، ودعا الله - تعالى - بدعاء جاء فيه: «**اللهم مشبع الجاعة، ورافع الوضيعة، أنت أعلم بحاجتى وبحالى، فادفع عنى ما أنا فيه من عطش وجوع بحولك وطولك، اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**» ثم لف رأسه بعمامته ونام فى الرمضاء فى الحر الشديد، وتركهم يأكلون الدم، يقول أبو أمامة: فأتانى آت فيما يرى النائم بإناء من زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس أفضل منه، فأخذته وشربته، فشبعت ورويت، ولما فرغت من شرابى استيقظت، فوالله ما عطشت بعد ذلك أبداً، فوجدت واحداً منهم يؤنبهم على سوء صنيعهم معى وأنا واحد منهم، فأحضروا لى لبنا، فقلت لهم: لا حاجة لى به، ثم أريتهم بطنى فأدركوا ما فيها من الشبع والرى، وهنا أدركهم فرج الله القريب، وفتح الله مغاليق قلوبهم، ودخلوا الإسلام جميعاً.

وهكذا فرج الله كرب أبى أمامة، وهو كرب خاص، كما فرج الله كرب قومه، وهو كرب عام، مما جعله يحلق فى سموات الغبطة والسرور، ففى الحديث: «**لأنْ يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

١١- طَلِيقُ الرحمٰن

ورد عن الحسن البصرى أنه قال: كنت فى «واسط» - بلدة بالعراق - فرأيت رجلا أَلَمَّ به الضعف، وكساه الهزال، فكأنه لسوء حاله قد نُبِشَ عنه قبره، فتقدمت منه وقلت له: ما الذى دهاك؟ وما الذى فعل بك ما أرى يا هذا؟ فإذا بالرجل يتلفت ذات اليمين وذات الشمال، فقال لى قبل أن يتكلم: إذا أخبرتك

(١) سورة المائدة : ٣.

بحالى تكتم علىَّ أمرى؟ قلت: نعم. فقال: لقد حبسنى الحجاج منذ ثلاث ليال، فكنت فى أضيق حال، وأسوأ عيش، وأقبح مكان، وقد بلغ بى الجهد والشدة وسوء الحال كما ترى، وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم، فلما كان الأمس، أخرج الحجاج جماعة كانوا معى فضربت رقابهم، وتحدث بعض أعوان السجن ففهمت من حديثهم أن موعد ضرب عنقى هو الغد، وعندئذ اشتد همى وغمى، وضاقت على الدنيا بما رحبت، فأيقنت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن من توكل عليه كفاه، ومن وثق به نجاه، ومن اعتمد عليه كان أولى به من نفسه، فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط، فأجرى الله على لسانى كلاماً فكنت أقول: «**اللهم اشتد الضر، وفُقِدَ الصبر، وأنت المستعان**». فلما ذهب من الليل أكثره أخذتنى غَشْيَةٌ، وبينما أنا بين النوم واليقظة أتانى آت فقال لى: قم فصل ركعتين وقل:

«**يامن لايشغله شىء عن شىء، يا من أحاط عِلْمُه بما ذرأ وبرأ، أنت عالم بخفيات الأمور، وأنت محصى وساوس الصدور، أنت بالمنزل الأعلى، وعلمك محيط بالمنزل الأدنى، تعاليت علوا كبيراً، يامغيث أغثنى، وفك أسرى، واكشف ضرى، فقد نفد صبرى**».

فقمت من نومى فى التو واللحظة، وتوضأت فى الحال وضوءاً تاما، ثم صليت ركعتين وتلوت بعدهما ما سمعت من هذا الهاتف، فلم أنس منه كلمة واحدة، وإذا بفرج الله القريب يأتينى بقدرته، فلم أكد أتم صلاتى ودعائى حتى رأيت عجبا من أمرى، إذا بى أنظر إلى قيودى وأغلالى وقد سقطت من رجلى، وإذا بى أنظر إلى أبواب السجن فرأيتها مفتحة، فقمت فخرجت من سجنى وضيقى إلى سعة رحمة الله وفضله، ولم يعارضنى أحد من الحراس، فخرجت من بينهم وكأن على رءوسهم الطير، فأنا والله طليق الرحمن، فقد أعقبنى الله بصبرى فرجاً، وجعل لى من ذلك الضيق مخرجاً، ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز، يقصد جوار بيت الله واسع الكرم، سابغ النعم، دافع النقم.

فإذا كانت مصائب الدنيا كثيرة، وبلاياها متنوعة، فإن أبواب الرحمة ومفاتيح الفرج من الكثرة والوفرة بحيث لا يشملها عد ولايحيط بها حصر، فالشدائد التى لانعلم لها أدعية، فإن الله يلهم أصحابها من الدعوات ما يناسبها، إذا ما صحت النيات، وصدقت العزمات.

فكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى

وكم يُسْرٍ أتى من بعد عسر ... فَفَرَّجَ كُربة القلب الشجى

١٢- تفريج كرب أحد المجاهدين

روى الحسن البصرى - رضى الله عنه - أن «عمر السرايا» قد تعرض لضائقة شديدة، وهو يغزو فى بلاد الروم، وبيان ذلك أنه بينما كان نائما ذات يوم إذا برجل من الروم يحركه، فاستيقظ وانتبه، يقول عمر: فوجدت الشر يلمع فى عينيه، وخاطبنى بحدة قائلا: يا عربى، اختر لك لونا من القتال تحبه، فإنى مقاتلك الساعة، فإن شئت أن تكون المبارزة بيننا طعنا بالرماح أو السيوف فلك ذلك، وإن شئت المصارعة فلك ذلك كذلك، فقال عمر: أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لى بها الآن، ولكننى أرغب أن تكون الجولة بيننا مصارعة، فقبل الرومى المصارعة، وما هى إلا لحظات حتى صرع الرومى عمر السرايا وجلس على صدره، والشر والزهو والانتصار قد جعله يسخر منه، ويقول له: اختر أى قِتْلة أقتلك الساعة، فما كان من عمر السرايا إلا أن رفع رأسه إلى السماء وقال:

«اللهم إنى أشهد أن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه، ففرج عنى يا أله».

إنها ضراعة مضطر، وصوت محزون مكروب، لم يكن بينها وبين الله حجاب، فلم يلبث عمر السرايا إلا يسيراً حتى جاءه الفرج القريب من الله المجيب، يقول عمر: فأغمى علىَّ لحظة من الزمن، لا أدرى مقدارها، ثم إنى

أفقت بعدها، فإذا بهذا العبء الملقى على صدرى، والكابوس الذى ضيق علىَّ نفسى، إذا بى أجده جثة هامدة صريعاً بجوارى، فأنجانى الله منه.

١٣- تفريج كرب الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه

الإمام الورع التقى أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى - رضى الله عنه وأرضاه - واحد من هؤلاء الصفوة، وعلم من هؤلاء الأعلام، وهو واحد من أعلام الفقه الإسلامى والحضارة العربية، فقد وضع للناس مذهبا سنيا جديداً، وأسس مدرسة فقهية شهيرة، ولايزال لهذا المذهب صداه الكبير وشهرته الواسعة فى تاريخ الأمة الإسلامية، ولقد نزل بهذا الإمام شدة وكرب عظيم، فى عهد كل من المأمون والمعتصم والواثق، وهم من خلفاء بنى العباس، وقد استغرقت هذه المحنة عامين ونصف عام، تعرض خلالها الإمام الجليل إلى ما لا طاقة للبشر بمثله، حتى إن أحد علماء عصره - بشر الحافى - ليقول عنه: إن أحمد قد قام فى ذلك مقام الأنبياء. والمحنة وإن كانت تعنى الابتلاء والاختبار والامتحان، فإنها عند كبار العلماء والصالحين والفقهاء المخلصين تعنى الترقية، ورفع الدرجة والرتبة.

يقول عباس بن مشكويه الهمذانى: كنت فى الدار يوم ضرب الإمام أحمد، فلما ضرب السوط الثامن اضطرب المئزر فى وسطه، فرأيته قد رفع رأسه إلى السماء، وحرك شفتيه، فما استتم الدعاء حتى رأينا كفا من ذهب قد خرج من تحت المئزر، فرد المئزر إلى موضعه بقدرة الله، فضجت العامة، وهموا بالدخول إلى دار السلطان، وأمر بحمله وحله من وثاقه، فدخلت عليه، فقلت له: يا أبا عبد الله: بأى شىء كنت تحرك شفتيك عند اضطراب المئزر؟ فقال الإمام: حينما اضطرب المئزر فى وسطى لـم أبال بأى شىء اللهم إلا بالخوف من انكشاف عورتى، وظهور سوأتى أمام الناس، وقد شكل لى ذلك الأمر كربا أنسانى ما أنا فيه من ضرب السياط، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت: ياغياث المستغيثين، يا إله العالمين، إن كنت تعلم أنى قائم لك بالحق فلا تهتك لى عورة».

وهنالك استجاب الله دعائى، وأغاث لهفتى، وثبت المئزر فى وسطى، وأدركنى الله بكرامته، وعلمت أنى قائم على الحق مستمسك به.

وقد وردت الأخبار المستفيضة، التى تؤكد أن سر ثبات الإمام أحمد كان مرده إلى بشارة النبى له، فقد جاء رجل أعرابى ونزل بمدينة رسول الله ﷺ فرأى رسول الله ﷺ فى المنام فكلفه بالذهاب إلى أحمد بن حنبل، وقال له: إذا لقيته فقل له: النبى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «إن الله مبتليك ببلية، وممتحنك بمحنة، وقد سألت الله لك الصبر عليها، فلا تجزع».

كما أرسل إليه الإمام الشافعى - رضى الله عنه - من يبشره برؤيا مماثلة لتلك التى رآها الأعرابى، وفى نهايتها يقول له: إنك ستمتحن وتختبر فلا تُجِبْهم يرفع الله لك علما إلى يوم القيامة.

١٤- تفريج كرب موسى الكاظم بن جعفر الصادق

لقد حكى ابن خلكان أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق - رضى الله عنهما - قد حدثت له شدة فى زمن الرشيد وبسببه، وتم سجنه ظلما، فلما اشتد ضيقه، وتأزمت أحواله، إذا بالخليفة يجد فى منامه شخصا حبشيا أسود بيده حربة عظيمة، ويقول له: يا هارون إن لم تترك العسف والجور، وترفع الظلم عن موسى بن جعفر، بل وتفرج عنه فى هذه الليلة، فإنى سأتحرك بهذه الحربة لتموت لتوّك، فما كان منه إلا أن استدعى أحد أعوانه فى تلك الليلة، وأمره أن يذهب إلى موسى بن جعفر فيخلى عنه، ويعطيه ثلاثين ألف درهم، ويقول له: إن أحببت المضى إلى المدينة المنورة فأنت وشأنك، وأصلح الله لك، وإن أحببت المقام عندنا فلك ما تحب.

فذهب صاحب الرشيد إلى موسى بن جعفر وأخبره بما أمره به الرشيد، وأخبره قائلاً: لقد رأى الأمير من أمرك الليلة عجبا، وأخبره بما كان من أمر

الرشيد، ثم طلب منه أن يوضح له حقيقة هذا الموقف إن كان يعلم له توضيحاً، فقال موسى: إنى أخبرك بقصة هذا الرجل الذى جاء الخليفة، إنك تعلم أنه قد اشتد ظلمى، فلما ضاقت بى السبل، واستأت كثيراً لما حصل لى، فنمت مهموماً مغموماً، فرأيت رسول الله ﷺ فى منامى، فقال لى: ياموسى قل هذه الكلمات، فإن قلتها يفرج الله عنك ما أنت فيه فى هذه الليلة، فقلت: وما هى يارسول الله؟ فقال: قل: «**يا سامع كل صوت، وياسابق كل فوت، ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك العظام، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليما ذا أناة لايقدر على أناته أحد، ياذا المعروف الذى لاينقطع معروفه أبداً، ولا يحصى له عدداً، أفرج عنى**».

وقد رَدَّدْتُ هذا الدعاء مرارًا، فلم ألبث إلا كما رأيت وأخبرت، فلله على ذلك عظيم الحمد والمنة، وله وحده الشكر فى حالى الرضا والغضب.

* * *